سلسلة المنظومات (3)

الشرح التربوي لـ :

نونية البستي

المسماة

عنوان الحكم

بسم الله الرحمن الرحيم

نوين الب ستي

الس م اة: ع نوان ال ك م

اقرأ في هذا الشرح: كيف تسعد في حياتك ؟

)ق واع د الس ع ادة ف ه ذه ال ي اة(

١ – زِيَادَة الْمَرْء فِي دُنْيَاهُ نُقْصَان ... وَربحه غير مَحْض الْخَيْر خسران

اعلم أن الزيادة في الدنيا من أي شيء نقص إلا الزيادة من الدين، أتدري لماذا ؟.

٢ – وكل وجدان حَظّ لا ثبات لَهُ ... فَإِن مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيق فقدان

لأن كل ما تجده من هذه الدنيا ستفقده حتمًا، وخذ على ذلك أدلة:

٣ – يَا عَامِرًا لخراب الدَّار مُجْتَهدا ... بِاللَّه هَل لخراب الْعُمر عمرَان

لو عمّرتَ دارًا أليست ستخرب، أو قبل أن تخرب سيخرب عمرك، وتتركها.

٤ – وَيَا حَرِيصًا على الْأَمْوَال تجمعها ... أنسيت أَن سرُور المَال أحزان

ولو جمعتَ مالاً أليس سينفذ، أليس سرورك بمالك هو ذات حزنك بذهابه عنك وإنفاقك له !.

٥ – زع الْفُؤَاد عَن الدُّنْيَا وَزينتهَا ... فصفوها كدر والوصل هجران

ولو سررتَ بدنيا، وسررت باجتماعك مع من تحب فيها، ألن يعقب الاجتماع افتراق، ويعقب صفو صحبتك لهم كدر هجرانهم لك.

٦ – وأرع سَمعك أَمْثَالًا أفصلها ... كَمَا يفصل ياقوت ومرجان

فإن أردتَ أن تسعد في هذه الدنيا، فهاك حِكمًا تدلك كيف تعيش في دنياك سعيدًا، فأنصت لها بسمع قلبك، فإنها تُبيّن لك بيانًا واضحًا، لا لبس معه.

٧ – أحسن إِلَى النَّاس تستعبد قُلُوبهم ... فطالما استعبد الْإِنْسَان إِحْسَان

أول قواعد السعادة في هذه الحياة: أن تحسن للناس، فتملك مفاتيح قلوبهم، وتسعد في تعاملك معهم، وتعاملهم معك.

٨ – يَا خَادِمِ الْجِسْم كم تشقى بخدمته ... أتطلب الرِّبْح فِيمَا فِيهِ خسران

بخلاف إحسانك لجسمك، ستشقى في خدمته، وسيتهدم عليك؛ شيئًا فشيئًا؛ فكيف تربح فيما يبور ويفنى ! فإن سألتَ كيف أتملّك قلوب الخلائق ؟:

٩ – أقبل على النَّفس واستكمل فضائلها ... فَأَنت بِالنَّفسِ لَا بالجسم إِنْسَان

أولاً: استكمل الفضائل في نفسك؛ روحًا وأخلاقًا وفِعالاً، فنفسك هي محل تميزك

١٥ – من كَانَ للخير مناعا فَلَيْسَ لَهُ ... على الْحَقِيقَة إِخْوَان وأخدان

وثالث قواعد السعادة في هذه الحياة: جد بمالك في أبواب الخير؛ فمن منع الناس ماله منعوه محبتهم، وحرموه أخوتهم.

١٦ – من جاد بِالْمَالِ مَال النَّاس قاطبة ... إِلَيْهِ وَالْمَال للْإِنْسَان فتان

ومن جاد بالمال أقبلت قلوب الناس عليه، ولو بقى المال في يده لفتنه، وفتن الناس من حوله، فآذوه وذموه.

١٧ – من سَالم النَّاس يسلم من غوائلهم ... وعاش وَهُوَ قرير الْعين جذلان

ورابع قواعد السعادة في هذه الحياة: أن تسالم الناس، وتترك معادتهم، فتسلم من شرهم، وتعيش مرتاح البال قرير العين، فرحًا سعيدًا في حياتك، فإن سألت: كيف أسلم من شر الناس ؟:

١٨ – من كَانَ لِلْعَقْلِ سُلْطَان عَلَيْهِ غَدا ... وَمَا على نَفسه للحرص سُلْطَان

فالجواب: حكّم عقلك في تعاملك مع الناس، لا نفسك الأمارة بالسوء الحريصة على الطمع، فسيرشدك إلى كل فضيلة، وخذ على ذلك أمثلة:

١٩ – من مد طرفاً لفرط الْجَهْل نَحْو هوى ... أغضى على الْحق يَوْمًا وَهُوَ خزيان

إذا مددتَ عينك إلى هوى رجع إليك بالخزي والندامة يوم تُعرض على ربك يوم القيامة، فحكّم عقلك، لا هواك.

٢٠ – من عَاشر النَّاس لَاقَى مِنْهُم نصبًا ... لِأَن سوسهم بغيٌ وعدوان

ومن عاشر الناس على طلب استقصاء الحق الذي له منهم، تعب من بغيهم وعدوانهم، فحكّم عقلك، لا طيشك.

٢١ – وَمن يفتش عَن الإخوان يقلهم ... فجل إِخْوَان هَذَا الْعَصْر خوان

وإذا فتشتَ في أحوال أصحابك من حولك لا يكاد يصفو لك منهم أحد، بل ستبغض أكثرهم؛ لما تجد من خيانتهم لمحبتك، فاتخذهم أصحابًا لا خلانًا وأحبابًا، وحكّم عقلك، لا بادئ ظنك.

٢٢ – من اسْتَشَارَ صروف الدَّهْر قَامَ لَهُ ... على حَقِيقَة طبع الدَّهْر برهَان

وأدلة هذا في أفعال الزمان كثيرة، وبراهينه واضحة، تجلّي لك الحقيقة، وخذ على ذلك أدلته:

٢٣ – من يزرع الشَّرّ يحصد فِي عواقبه ... ندامة ولحصد الزَّرْع إبان

كل من زرع شرًا في هذه الدنيا رجع شره عليه، وجنى ندامة، ولو تأخرت عاقبته السيئة حينًا، فسيأتيه حصاد شره في وقته، لا محالة.

٢٤ – من استنام إِلَى الأشرار نَام وَفِي ... قَمِيصه مِنْهُم صل وثعبان

وكل من استأمن أهل الشر لم يصبح إلا وهو يتألم من لدغهم وعضهم، وأمسى وفي ثيابه حيات وثعابين.

٢٥ – كن ريق الْبشر إِن الْحر همته ... صحيفَة وَعَلَيْهَا الْبشر عنوان

وخامس قواعد السعادة في هذه الحياة: كن دائم البشر، مهما كانت متاعبك، فسيرتاح قلبك، وإن أَتعبتْ الحياة جسدك، فهمة الشهم أن يخفي آلامه، ويظهر للناس بشاشته.

٢٦ – ورافق الرِّفْق فِي كل الْأُمُور فَلم ... ينْدَم رَفِيق وَلم يذممه إِنْسَان

وخذ الأمور بترفق، تأتيك شيئًا فشيئًا، ولن يندم من انتظر حصاد كل خير في وقته، ولن يذمه أحد.

٢٧ – وَلَا يغرنك حَظّ جَرّه خرق ... فالخرق هدم ورفق الْمَرْء بُنيان

ولا تعجل إذا صادفتْ الحظوظ جاهلاً، دون جهد منه، فليس عاقبتها في يده إلا إلى زوال، فما جاء سريعًا ذهب سريعًا، وعاقبة رفقك تؤول إلى إحكام بنيانك وثباته.

٢٨ – أحسن إِذا كَانَ إِمْكَان ومقدرة ... فَلَنْ يَدُوم على الْإِحْسَان إِمْكَان

ولا تتعجل في شيء إلا في فعل الخير؛ فإنك لا تدري لعلك لا تستطيعه بعد أن كنتَ ذا مقدرة عليه، ولا يدوم تمكنك منه.

٢٩ – فالروض يَزْدَان بالأنوار فاغمة ... وَالْحر بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَان يَزْدَان

واعلم أن جمال كل روض حسن أزهاره، وجمال كل إنسان حسن عطائه، وعدل أحكامه.

٣٠ – صن حر وَجهك لَا تهتك غِلَالَتِهِ ... فَكل حر لحر الْوَجْه صوان

وإياك أن تعجل، فتذل نفسك لأحد، وتطلب ما فيه منة عليك، فصيانة الوجه عن المذلة دأب كل حر، فلا تهتك ستر باطن ثيابك.

٣١ – فَإِن لقِيت عدوًا فألقه أبدًا ... وَالْوَجْه بالبشر وَالْإِشْرَاق غضان

ولا تعبس في وجه عدو، فبشرك في وجهه وإشراق ابتسامتك على جبينه يغيظه، أو يدفع عنك شره.

٣٢ – دع التكاسل فِي الْخيرَات تطلبها ... فَلَيْسَ يسْعد بالخيرات كسلان

وسادس قواعد السعادة في هذه الحياة: أن تنشط لكل خير، ولا تكسل في طلبه، فالمبادرة إلى ما ينفعك سعادة لك بحسب إنجازك، ورفعة لمكانتك بين الناس.

٣٣ – لَا ظلّ للمرء يعرى من تقى وَنهى ... وَإِن أظلته أوراق وأفنان

وأما من عري من الخير والتقى والتعقل لم يظله وقت الحاجة ما جمعه لنفسه من مظاهر جاهٍ شكلية، بل ستفرقها رياح الحياة، وستمزقها صروف الدهر.

٣٤ – وَالنَّاس أعوان من والته دولته ... وهم عَلَيْهِ إِذا عَادَته أعوان

ولا تجعل حكمك على حسن فعلك: اجتماع الناس عليك، فإن الناس يوالون من والاه السلطان ذو الدولة، ويعادون من عاداه.

٣٥ – سحبان من غير مَال بَاقِل حصر ... وباقل فِي ثراء المَال سحبان

ولا تجعل حكمك على جميل صنعك: حكم الناس عليك، فإنهم يقدمون العيي الذي لا يحسن أن يتكلم – كباقل الذي تعلمه أمه اسمه كل يوم، ويمسي وقد نسيه – على الخطيب المفوه – كسحبان وائل أخطب العرب – ، إذا اجتمع المال عند الأول، وانعدم عند الثاني.

٣٦ – لَا تودع السِّرّ وَشاء يبوح بِهِ ... فَمَا رعى غنمًا فِي الدوح سرحان

واكتم أسرارك عن كل من قد عرفت أنه يذيعها للناس، فكيف تأمن ذئبًا مخادعًا يرعى حملاً وديعًا.

٣٧ – لَا تحسب النَّاس طبعا وَاحِدًا فَلهم ... غرائز لست تحصيهن ألوان

وسابع قواعد السعادة في هذه الحياة: ألا تحسب الناس طبعًا واحدًا، بل عامل كلاً منهم بحسب طبعه، فالناس متعددو الألوان.

٣٨ – مَا كل مَاء كصداء لَوارده ... نعم وَلَا كل نبت فَهُوَ سَعْدَان

فليس كل ماء حبسته جوانب الأرض يروي وارده، ولا كل نبت تفجر بين ترابها كشجر السَعدان، الذي هو أفضل مراعي الإبل.

٣٩ – لَا تخدشن بمطل وَجه عارفة ... فالبر يخدشه مطل وليان

فإذا وعدتَ كريمًا فلا تماطله، فبرك يزينك، ومطلك يخدش سمعتك، ويشوه معروفك، وكرائم سابقاتك.

٤٠ – لَا تستشر غير ندب حَازِم يقظ ... قد اسْتَوَى فِيهِ إسرار وإعلان

وإذا استشرتَ، فليس كل الناس أهلًا للمشورة، فاستشر الحازم النجيب المحب لك، الذي تستوي محبته لك، في سرها وعلنها.

٤١ – فللتدابير فرسَان إِذا ركضوا ... فِيهَا أبروا كَمَا للحرب فرسَان

وإذا أردتَ إحكام أمرٍ، فاختر لقيادته من يجيد السبق إذا دبّر الأمور، فلكل حرب فرسانها، ولكل منبر خطيبه.

٤٢ – وللأمور مَوَاقِيت مقدرَة ... وكل أَمر لَهُ حد وميزان

وثامن قواعد السعادة في هذه الحياة: أن تنتظر لقطف ثمرة جهدك وقت نضوجها، وتضبط وزن كل فعل بحسبه، ولا تعجل.

٤٣ – فَلَا تكن عجلاً بِالْأَمر تطلبه ... فَلَيْسَ يحمد قبل النضج بحران

فإياك والعجلة قبل النضج، فما تصنع بثمرة لم يطب أكلها بعد !!.

٤٤ – كفى من الْعَيْش مَا قد سد من عوز ... فَفِيهِ لِلْحرّ إِن حققت غنيان

ولا تستكثر من كل الأمور، وحسبك أحسنها؛ ما أغناك عن غيرك، وكفاك في حاجتك.

٤٥ – وَذُو القناعة رَاض من معيشته ... وَصَاحب الْحِرْص إِن أثرى فغضبان

وما حققته من نجاح اجعله محل رضاك، وما فاتك فلا تغضب على فوته، فهو ليس لك، وإن حرصتَ عليه، وليس يرضي شديد الطمع والحرص أيّ غنى.

٤٦ – حسب الْفَتى عقله خلاً يعاشره ... إِذا تحاماه إِخْوَان وخلان

ولو عادك الناس جميعًا فحسبك من نجاحك أن حققت ما دبرته بعقلك؛ حتى استقام لك بعون ربك لك.

٤٧ – هما رضيعا لبان حِكْمَة وتقى ... وساكنا وَطن: مَال وطغيان

واعلم أن كل تقي حكيم، وكل غني يطغى؛ إن لم يزم أمره بالعقل والتقى.

٤٨ – إِذا نبا بكريم موطن فَلهُ ... وَرَاءه فِي بسيط الأَرْض أوطان

فإن لم توفق لما تريد لبغي من حولك، فاضرب في فسيح الأرض تجد مراغمًا كثيرة وسعة.

٤٩ – يَا ظَالِمًا فَرحًا بالعز ساعده ... إِن كنت فِي سنة فالدهر يقظان

وتاسع قواعد السعادة في هذه الحياة: أن تحذر من الظلم، فلا تفرح بعزك به ساعة، فإنك لا تستيقظ بعده إلا وقد أكلك الزمان بنابه، وانتقم خصومك منك.

٥٠ – مَا استمرأ الظُّلم لَو أنصفت آكله ... وَهل يلذ مذاق الْمَرْء خطبان

بل لم يكن أكل المظالم راحة لظالم قط، فكيف تكون عاقبته إلى راحة !!.

٥١ – يَا أَيهَا الْعَالم المرضي سيرته ... أبشر فَأَنت بِغَيْر المَاء رَيَّان

وعاشر قواعد السعادة في هذه الحياة: عليك بالعلم، تُروى به دائمًا، ويرضى الناس طريقتك وهديك.

٥٢ – وَيَا أَخا الْجَهْل لَو أَصبَحت فِي لجج ... فَأَنت مَا بَينهَا لَا شكّ ظمان

وما الجاهل إلا في ظمأ روحه، وإن أحاطت بجسده مياه الأرض.

٥٣ – لَا تحسبن سُرُورًا دَائِما أبدا ... من سره زمن ساءته أزمان

وتأكد أن سرورًا لن يدوم لأحد، فأيام المساءة تنسج لك، وأنت في أيام سرورك ولهوك.

٥٤ – إِذا جفاك خَلِيل كنت تألفه ... فاطلب سواهُ فَكل النَّاس إِخْوَان

وحادي عشر قواعد السعادة في هذه الحياة: ألا ترضى بالدون، فإن جفاك حبيب، فابحث عن غيره تجده مثله ونظيره في الناس.

٥٥ – وَإِن نبت بك أوطان نشأت بهَا ... فارحل فَكل بِلَاد الله أوطان

وإن غدرت بك بلد، فارحل إلى غيرها تجد فيها وطنًا تسعد به، وتعبد الله فيه.

٥٦ – يَا رافلاً فِي الشَّبَاب الرحب منتشيًا ... من كأسه هَل أصَاب الرشد نشوان

وثاني عشر قواعد السعادة في هذه الحياة: ألا تغتر بشبابك وسرورك فيه، فكل من غرّه الشباب أضاع رشده، وخسر عمره.

٥٧ – لَا تغترر بشباب رائق نضر ... فكم تقدم قبل الشيب شُبَّان

وتذكر كم من شابٍ غرّه شبابه فأهلكه، أو هلك هو قبل أن يدركه المشيب.

٥٨ – وَيَا أَخا الشيب لَو ناصحت نَفسك لم ... يكن لمثلك فِي اللَّذَّات إمعان

وهل لمن شاب وكبرت سنه أن يغتر بعمره، وما بقي في عمره وقتٌ للذات، والتمتع بالشهوات.

٥٩ – هَب الشبيبة تبدي عذر صَاحبهَا ... مَا عذر أشيب يستهويه شَيْطَان

وإذا لم نعذر شابًا يتصابى، فكيف يَعذر الناس شيبة، تعلق قلبه بشياطين الشهوات.

٦٠ – كل الذُّنُوب فَإِن الله يغفرها ... إِن شيع الْمَرْء إخلاص وإيمان

فعجّل التوبة، فكل الذنوب تغفر، فتب إلى الله إيمانًا بعظيم رحمته، وإخلاصًا في طلب رضاه.

٦١ – وكل كسر فَإِن الدّين يجْبرهُ ... وَمَا لكسر قناة الدّين جبران

ولا تغتم إذا صرتَ إلى الله سليمًا من الذنوب، فمهما فاتك من دنياك، فإنك تدرك خيرًا منه في آخرتك، ومهما فاتك من الدين لم تعوضك عنه الدنيا بأسرها.

٦٢ – خُذْهَا سوائر أَمْثَال مهذبة ... فِيهَا لمن يَبْتَغِي التِّبْيَان تبيان

فخذ هذه النصائح البيّنة المختصرة، ففيها بيان لطريق سعادتك في حياتك.

٦٣– مَا ضرّ حسانها والطبع صائغها ... أَن لم يصغها قريع الشّعْر حسان

فإنها خلاصة تجربة، وصياغة طبع من عرف حقيقة الدنيا وأهلها، والفضل فيها للمعاني التي تحملها، ولو لم ينظم اللفظ فارس الشعر حسان بن ثابت رضي الله عنه.